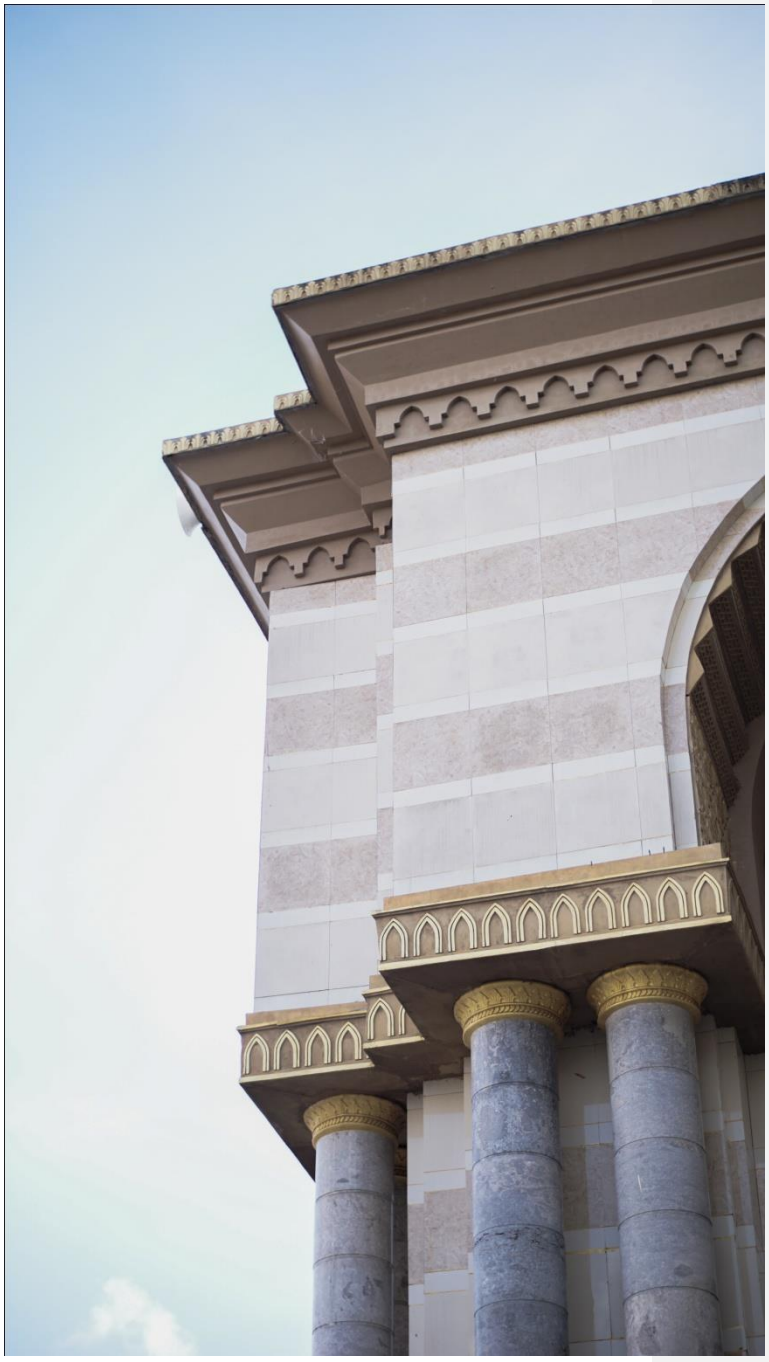

تفريغ محاضرة

كيف نعيش عرفة؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٥/١٢/١٤٤٢ هـ

كيف نعيش عرفة؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا رسول الله، أما بعد ..

عشر ذي الحجة وشرفها ومقامها وما فيها من فضائل

يقول -صلى الله عليه وسلم- : «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ -يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ-»[1].

في هذه العشر يوم عظيم، عظّمه الله في كِتابه، وشبهه العُلماء بيوم المحشر، وقيل أنه نموذجٌ مصغر لما سيحصل يوم القيامة، **فهو يشبهه من حيث ضخامة الأعمال، وشدة الزحام، وكثرة الجمع**[2]. لكنّه يومٌ من أيام الدنيا يغفر الله فيه من الزلات، ويعتق فيه من الرقاب ويقيل من العثرات ما لا يحصيه إلا الله - عز وجلّ- ، وفي هذا اليوم يتشابه الناس كلّهم، يكسوهم البياض فلا تتباين فيه المقامات ولا الأجناس، لا فرق بين الرئيس والمرؤوس، ولا الحاكم والمحكوم، ولا فرق بين الأبيض والأسود ولا العربي والأعجمي، ولا الغني والفقير، فهم لا يتمايزون إلا بالتقوى.

- **فضائل يوم عرفة:**

لهذا اليوم شرف عظيم شرّفه الله به، وفضائل عدة خصّت به، منها:

الفضيلة الأولى: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: {اليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ علَيْكُم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة.[3]

لنقف معًا عند هذه الفضيلة التي لطالما سمعناها. نزلت {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} في يوم عرفة، لكن لماذا نزلت هذهِ الآية ولماذا أُكمل الدين في هذا اليوم؟ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- حجّ حجة الإسلام أول مرة فأتمّ ركنه الخامس، كما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الحجة -وهي حجته الوحيدة- أعاد الحج على منسك إبراهيم عليه السلام؛ لأن قريش والعرب قبله في الجاهلية غيروا المناسك، غيروا التلبية، كانوا يطوفون حول

[1] أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح.

[2] https://www.alukah.net/sharia/0/35886/2

[3] أخرجه البخاري، صحيح.

الأصنام، ويقفون في مزدلفة ولا يقفون في عرفة. فأعاد النبي-عليه الصلاة والسلام- الحج على ما كان عليه زمن إبراهيم عليه السلام، وأكمل الله- عز وجل- هذا الدين وأتمّ النعمة بِغُفران الذنوب.

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: "يومُ عرَفةَ، ويومُ النَّحْرِ، وأيَّامُ التشريقِ: عيدُنا أهلَ الإسلامِ، وهي أيَّامُ أكلٍ وشربٍ"[4] إذن عيدنا يبدأ من يوم عرفة، ثم يأتي يوم العيد، وتليه أيام التشريق، فكل هذهِ الأيام الخمسة هي أيام عيد، تتعبد الله فيها بأمرين: بالشكر والفرح.

الشكر معروف، لكن تتعبد الله بالفرح بماذا؟ ما المشاعر التي تشعر بها حينما تستيقظ يوم عرفة؟ تحمد الله أن أحياك لهذا اليوم وبلّغك إياه، وتحمده أنك لم تكن من الغافلين القانطين اليائسين، بل عشته راهبًا راغبًا إلى الله ترجو رحمته وغفرانه والعتق من نيرانه، وأن يختارك الله لتكون من ضمن هؤلاء هو مدعاةٌ للفرح بلا شك، فلو شاء الله لكنت من النائمين الغافلين، ولمرّ عليك هذا اليوم كما مرّ عليك سنينَ عديدة، لا تعرف منه إلا الصوم.

فعندما نقول أن هذهِ أيام عيد يجب أن تتحرك هذهِ المشاعر في قلبك، فتشكر الله - عز وجل- على تمام النعمة وإكمال الدين، وتفرح بأن الله - عز وجل - أنعم عليك بأن أحياك إلى هذا اليوم.

الفضيلة الثانية: أنه اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على بني آدم.

هذا اليوم بالذات فيه مزية حصلت قبل آلاف السنين، فيوم عرفة يوم ثقيل ليس كأي يومٍ عادي تمرّ به، في هذا اليوم أظهر الله - عز وجل- ذرية آدم مثل الذرّ، وأخرجهم من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق، والميثاق هو أن لا إله إلا الله، هذا الميثاق هو الفطرة الموجودة في الداخل، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[5] ما معنى يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه؟ معناه أن ما بداخلك هو فطرة فطرك الله عز وجل عليها، هذه الفطرة هي لا إله إلا الله، وهي الشعور بالحاجة إلى ربك.

أرأيت لو أن يتيمًا عاش بلا أم ولا أب، ولم يجرب أن يكون له أم ولا أب، لكنه عاش حياته مرفهًا في أسرةٍ ثرية لا ينقصه شيء من ماديّات الدنيا، هل تظن أن مشاعره ستكون طبيعية؟ أم سيشعر بشيءٍ من النقص؟ شيء من الداخل يشعره بالوحدة حتى لو كان حوله كل أصدقاء الدنيا، فهذا أمرٌ طبيعي أن تحتاج إلى أم وأب، لكن هذه المشاعر وهذه الحاجة إلى الحنان والأمان لا تقاس إطلاقًا على احتياج الإنسان إلى ربه، فحاجتك إلى الله- عز وجل- هي حاجة أساسية أهم من حاجتك لأنفاسك؛ لذلك الذين لا يؤمنون بالله بطريقة صحيحة، سواءً كانوا ملحدين أو نصارى أو يهود أو غيرهم .. هؤلاء يعيشون طوال الوقت في قلق، مغنٍ، مطرب، ممثل ... إلخ، هو يبحث عن شيء ولا يجده، فطرته انتكست، تلوّثت وتشوّهت، فهو يعيش حياة غير متناغمة مع الفطرة التي غرسها الله -عز وجل- في داخله، فمهما متّع لذائذ الجسد وشهواته لن تغنيه عن لذائذ الروح التي يحتاجها.

[4] أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح.
[5] أخرجه البخاري، صحيح.

إذن يوم عرفة هو اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم عليه السلام، عندما نقول أن هذه الفطرة هي التي جعلها الله -عز وجل -فينا، **فافرح بأن الله -عز وجل- لم يضعك في مكان تحتاج فيه للبحث عن الإسلام، لم يجعلك تشعر بالقلق وأنت تبحث عن الله، تبحث عن قوة أكبر منك .. من ربي؟** هي البقرة أم النمل أم الأرواح الطائرة أم ...؟ هؤلاء غاب عن أذهانهم أن الله- سبحانه وتعالى- موجودٌ في السماء مستوٍ على عرشه، وهو العليم البصير بهم. فاحمد الله أنك تعلم هذا وأنك لم تبذل شيئًا حتى تعلمه، احمده على أنه لم يوجدك في بيئة أخرى بعيدة عن الهدى؛ لأنك قد تصل للحق وقد لا تصل إليه، قد يهديك عقلك إليه وقد لا يهديك، فاحمده على هذه المنّة والنعمة العظيمة وكن من الشاكرين.

الفضيلة الثالثة: أن الله -عز وجل- أقسم به في كتابه.

أقسم الله بيوم عرفة في موضعين من كتابه، والعظيم لا يُقسم إلا بعظيم. ففي سورة الفجر قال تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ١-٣] الليالي العشر هي عشر ذي الحجة في أصح التفاسير، {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة. وفي سورة البروج يقول سبحانه: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [الفجر: ١-٣] الشاهد: يوم الجمعة والمشهود: يوم عرفة.

أقسم بهذه الأمور العظيمة ثم قال: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} لنعتبر بقصة أصحاب الأخدود، فالذين حُرّقوا في الأخدود أناسٌ زهقت أرواحهم انتصارًا لمبادئهم، ما إن أسلموا - بعد القصة المعروفة- حتى شُقّت لهم الأخاديد وأُضرمت لهم النار فحرّقوا فيها، كل من كان مؤمنًا يُلقى فيها. وفيها القصة المعروفة للمرأة التي جاءت مع طفلها الصغير فكأنها تكعكعت أي: تأخرت، فأنطق الله -عز وجل- ابنها الرضيع الذي بين يديها وقال لها: يا أمّ اقتحمي فإنك على الحقّ.

فهذه الآيات فيها تثبيتٌ للمؤمنين وتسليةٌ لهم، إذ أنك ستُبتلى وتُفتن في دينك، وحتى تنجو لابد من صبرٍ وتضحيات![6]

صحيح أن هؤلاء قاسوا النار وشدتها للحظات ثم انتهت حياتهم المؤقتة، لكنهم فازوا برضا الله سبحانه، وظفروا بحياة الخلود في جنّته، يتنعمون فيها ويعيشون حياةً مرضيّة. فالله - سبحانه وتعالى- أقسم بهذا اليوم العظيم على ما في هذه القصة من عبرة، التي ضحّى فيها أبطالها بحياتهم لأجل الله ورضوانه.

الفضيلة الرابعة: تكفير السيئات والعتق من النار.

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا اليوم: "صيامُ يومِ عرفةَ، أحتسِبُ على اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنةَ الَّتي قبْلَه والسَّنةَ الَّتي بعدَه"[7] فصيام عرفة، أربع عشرة ساعة أو ست عشرة ساعة ستصومها يُكفّر سنتين، سنة قبلها بذنوبها

[6] المعنى مقتبس من التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم وآخرون.
[7] أخرجه مسلم، صحيح.

وكدرها، وسنة قادمة أيضًا بذنوبها وكدرها. هذا إن أخلصته لله وحده، وتقبله الله منك، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧].

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألتُ رسولَ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- عن هذِهِ الآيةِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون:٦٠] قالت عائشةُ: أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ؟ قالَ: "لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ، وَهُم يخافونَ ألا تُقبَلَ منهُم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ"[8].

إذن القضية أنك تعمل العمل وأنت تعيش بين الرجاء والخوف، تخاف ألّا يقبل عملك، وترجو رحمة الله وكرمه وغفرانه، فهو أعظم من أن يردك. **فعليك أن توازن بينهما؛ لأنك لو شددت الخوف على نفسك يئست وقنطت، ولو غلّبت الرجاء فتح الشيطان لك بابًا وجعلك تستمرئ ذنوبك، فالله غفور رحيم! لكن الأصل في المؤمن أن يعيش طوال الوقت بهذين الجناحين، جناح الخوف وجناح الرجاء.**

يروي ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم -أنه قال في هذا اليوم: "إنَّ هذا يومٌ من مَلَكَ فيهِ سَمْعَهُ وبَصَرَه ولسانَهُ غُفِرَ لهُ"[9]. نحن نتحدث عن يومٍ يُكفر الله بصيامه سنتين، فلا بد أن تحفظ فيه سمعك وبصرك ولسانك حتى يُغفر لك. اثنتا عشرة ساعة تقريبًا لو ملكت فيها حواسك غُفر لك.

و عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه: " ... فإذا وقَف بعرَفةَ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ينزِلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيقولُ : انظُروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا اشهَدوا أنِّي قد غفَرْتُ لهم ذُنوبَهم"[10].

لما جاء العلماء يفسرون هذه الأحاديث ظهرت مسألة:

- العتق وغفران الذنوب لمن؟ لأهل صعيد عرفات فقط أم لجميع من يشهد هذا اليوم؟

وهذا سؤال مهم جدًا، فنحن على أي أساس نعيّد؟ في عيد الفطر الجميع يستشعر العيد لأن الأمة كلها صامت شهر رمضان، لكن في عيد الأضحى؟ الحجاج يعيّدون لأنهم انتهوا من عرفة ومزدلفة، ويوم النحر يبدأ عيدهم لأنهم قضوا المنسك، أما نحن نعيّد على أي أساس؟ فقالوا أن الله يعلمُ لهفة عباده وشوقهم إلى بيته، فشاركوهم بذلك في الأجر بالغفران والعتق من النيران، وقالوا: يُرجى أن يُغفر لأهل الأمصار بشرف الزمان في يوم عرفة، وأما الحجيج فاجتمع لهم الشرفان، شرف الزمان وشرف المكان، فهو أدعى وأحرى للقبول.

إذن نحن نعيّد بعد يوم عرفة، اليوم الذي نرجو الله فيه أن يغفر لنا ويُعتق رقابنا من النار، فلذلك كان لنا عيدًا.

- هل نحن نحتاج إلى يوم عرفة؟

نعم نحن نحتاج عرفة، وحاجتنا له أكثر من حاجتنا للأكل والشرب، نحن نحتاجه لعظَم ما فيه من المَكرَمات، إذ أن الله -سبحانه وتعالى- يعتق فيه عباده من النار، يجيب دعواتهم، ويعطيهم سُؤلهم، فلا يبقي لهم مسألةً إلا أجابها، ولذلك قال ابن عبد البر: "دعاء يوم عرفة مُجابٌ كله في الأغلب"، فدعوات عرفة غالبًا تأتيك مثل فلق الصبح.

[8] أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
[9] أخرجه أحمد، وقال الألباني: إسناده صحيح.
[10] أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: صحيح.

نحن نحتاج إلى عرفة أيضًا، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول : "إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثَّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ"[11]، "كما يخلق الثوب" يعني مثل الثوب المهترئ الذي أصبح رقيقًا لكثرة استخدامه، فيتشقّق ويتقطّع لأدنى سبب، فهذا يعني أن الإيمان ليس كتلةً صلبة موجودة في داخلك، بل هو شيء يتغير مع مرور الأيام، يزداد وينقص، قد يزداد وينقص ثم يزداد وينقص، والمشكلة ليست في الزيادة والنقصان، بل المشكلة فيما سيُختم لك، هل سيُختم عملك وأنت في زيادة إيمان، أم في نقصٍ منه؟ ولذلك من المهم في يوم عرفة أن تسأل الله أن يجدّد الإيمان في قلبك.

هذه العشر تتميّز أنها في آخر العام، وبعدها تستقبل بداية عام جديد ثم تدخل في دوّامة الروتين اليومي، وازدحام المهام، والانشغال بالدراسة أو الوظيفة وبقية الأعمال، لذلك أنت تحتاج إلى دفعات إيمانية في يوم عرفة، أنت تحتاج إلى غذاء روحي يبقي قلبك حيًّا سائر الأيام.

لاحظ نفسك، قبل خمسة أعوام كيف كنت؟ والآن كيف أصبحت؟ آراؤك ومعتقداتك، والمسلّمات التي تؤمن بها كيف تغيّرت؟ أمورٌ ما كنتَ تجرؤ على فعلها أو حتى التفكير بها، واليوم المجتمع كلّه يفعلها بما فيهم أنت! كيف أصبحنا نرى الأسود أبيض والأبيض أسود؟ كيف صارت الألوان رمادية ولم نعد نعرف الحلال من الحرام!

بدايةً أنتَ أنكرت، غالبت، ثم لما رأيت الكلّ يفعل فعلتَ مثلهم، ذاب شعور أنَفة المنكر، وصار الإنسان يألف الذنب ولا يأنف منه، فأنت تحتاج أن تسأل الله في عرفة أن يجدد الإيمان في قلبك، واجعل هذا ضمن أولوياتك في الدعاء.

في حديثٍ ترويه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يقول: "ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بهِمِ المَلَائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟"[12] [أخرجه مسلم، صحيح]، الله عز وجل يباهي بهم الملائكة، يُباهي بأعمال قلوبهم، ويقول "ما أراد هؤلاء؟" فلما تعلم أن الله في هذا اليوم سيُسائل قلبك عمّا أراد، لا بد أن تحرّك في قلبك هذا السؤال منذ استيقاظك صبيحةَ عرفة، ماذا أريد في هذا اليوم؟ فالله -عزّ وجل- يسأل هذا السؤال؛ لعظَم ما في القلوب من رجاءِ رحمته ومغفرته.

إذن نحن نحتاج إلى عرفة حتى نُجدد الإيمان في قلوبنا، ومن ذلك أن نجدد الأمل في قلوبنا ونكرر المحاولة فيما لم يُكتب لنا التوفيق فيه. نحنُ نحتاج عرفة لقرارات الإصلاح المؤجلة، لوعود التغيير التي لم نفِ بها، ولخَطونا المتعثّر عبر السنين، أنت تدعو الله في عرفة أن يقيل عثرتك، أن يتجاوزها عنك، فلطالما تعثّرت وسقطت وتلطّخت، ارجُ مُقيل العثرات أن يقيل عثراتك ويغفر زلّاتك، تلك التي حدثت دون قصد منك، وتلك التي سرقها الشيطان منك في لحظة ضعف، ولْتَرِ الله صدق توبتك، وشدة حاجتك لغفرانه والعتق من نيرانه.

ابدأ من هذهِ الأيام التي تسبق عرفة وأخرج الدنيا من قلبك؛ لأن الله في يوم عرفة يُباهي بمن جاؤوه شُعثًا غُبرًا، وقد أخرجوا كل الدنيا من قلوبهم، فنحن الذين لم يُكتب لنا الحج نتشبه بالحجيج، ونخرج الدنيا من قلوبنا، يقول النبي

[11] أخرجه الحاكم، وقال الألباني: صحيح.
[12] أخرجه مسلم، صحيح.

عليه الصلاة والسلام : "من كانت الآخرةُ همه، جعل اللهُ غناه في قلبِه، وجمع له شملَه وأتتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ"[13]، فلو كان أفقرَ الناس، يشعر أنه أغناهم، "وجمع له شملَه " تفرّق الشمل ليس في أن أبناءك متفرقون متناثرون وكلٌّ في واديه، بل شملك أنت وحدك، عقلك المشتت الذي يفكر في كل شاردة وواردة. "وأتتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ" هذا غناه في قلبه، لا يُريد الدنيا لكن الدنيا تركض خلفه وهي راغمة أي مقهورة ذليلة، تأتيه دون أن يطلبها.

انظر إلى أحوال الناس من حولك، وتأمل كيف يُساق الرزق إليهم، بل تفكّر حتى في عالم الحيوانات والنباتات، كيف تُلقّح النبتة وكيف يسوق الله لها الحشرات، تكفّل الله بأرزاقهم جميعًا، ألن يتكفل برزقك؟! هل تظن أن الدنيا ستبتعد عنك لمجرّد قرار قررته لله -عز وجل-؟ هل تظن أنك ستخسر منها شيئًا؟ قل لي لمن تؤجّل قراراتك؟ وحتى متى؟ ثق أنك لن تملك الدنيا بحولك وقوّتك!

ثم يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ومن كانت الدنيا همَّه جعل اللهُ فقرَه بين عينَيه، وفرَّق عليه شملَه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له"[14]، لو كان رصيده ثلاثة ملايين أو خمسة يرى أنه أفقر الناس، فالله -سبحانه وتعالى- جعل فقرهُ بين عينيه؛ لأن الدنيا أصبحت همّه، "وفرَّق عليه شملَه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له" ما معنى كلمة قُدّر؟ يعني لو أنّه كتب لك أن تأخذ ستمائة وأربعة وخمسون ريالًا، وأنت جاهدت وسعيت حتى تصبح سبعمائة ريال، فو الله إن هذه الثمانية المتبقية لن تستطيع أن تأخذها بقوّتك إن لم يقدّرها الله لك، فتأمل كم مرة تناولت شيئًا من رزق الله ولم تحصل عليه، التقطته بيديك، أو ربما اقترب من فمك، أو تراءى أمام عينيك ثم لا يكون مصيره إليك! كلّ ما في الأمر أنه لم يُكتب لك، فتيقّن أنه لن يأتيك من الدنيا إلا ما قُدّر لك.

إذا عرفنا هذهِ الوصفة (أخرج هذهِ الدنيا من قلبك)، لا تدخل يوم عرفة وأنت مهموم بالدنيا متعلقٌ بها، وليس الأمر متعلقٌ بالترف والماديات فحسب، بل المهم أن لا تأخذك الدنيا عن طريق الله - عز وجل- ، أن لا تؤجل قراراتك من أجل هذهِ الدنيا، فحاول أن تُخرجها وألا تجعلها هي الضابط المهم في حياتك.

إذن قلنا أننا لابد أن نستحضر هذين الأمرين: نستحضر سؤال الله - عز وجل- "ماذا أراد هؤلاء؟" والأمر الآخر أن نخرج الدنيا من قلوبنا.

الآن دعونا نجيب على هذا السؤال: كيف نفوز في عرفة؟ كيف نعيش عرفة؟

<u>الأمر الأول: الذل والانكسار</u>

الذي يعيش عرفة ويُريد أن يفوز بالغفران والعتق من النيران، ويرجو أن يُعطى سؤله، ويُجاب دُعاه هو أكثر الناس ذُلاً وانكسارًا، يوم عرفة هو يوم خضوعٍ وانكسارٍ لله عز وجل، تأتي إلى ربك بنفسٍ ذليلةٍ خاضعةٍ منكسرة.
يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ،

[13] أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
[14] أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.

فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[15]وفي رواية قال: " إِلَّا عفيرٌ يعفرُ وجْهَهُ في التُّرابِ"[16]، الرجل عندما سأل هذا السؤال يعرف روايات أخرى، وأحاديث لفضائل الجهاد، فلما سمع الصحابي النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له: ولا الجهاد؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- : " إِلَّا عفيرٌ يعفرُ وجْهَهُ في التُّرابِ" أي من قضى هذه الأيام وهو معفّرٌ وجهه في التراب.

تعفير الوجه في التراب، من يرضاه؟ تخيل لو أن أحدهم أمسك بوجهك عنوةً وألصقه بالأرض، فتقوم ووجهك مُغطى بالتراب! هل تتخيل مدى القهر والذل الذي ستشعر به؟ أشرف ما فيك وأشمخ ما فيك صار في أوضع مكانٍ عند موطئ الأقدام، هذا بين البشر، لكن مع الله عز وجل يأتي هذا الرجل فيعفّر وجهه في التراب لله وحده يتذلل ويخضع وينكسر.

- **لمَ علينا أن ننكسر في هذا اليوم؟**

لأن المقام الآن هو مقام رغبة ورهبة ورجاء وخوف، ولا شيء يحرّك هذه المشاعر مثل أن تأتي إلى الله وأنت منكسر ذالٌ له خاضع. أنت تنكسر؛ لأنك أتيته بأيدٍ خاوية إلا من قليلِ عملٍ صالح، لأنك أتيته مُثقلًا بالذنوب والخطايا. ترفع يديك وتدعوه أن يا رب اغفر لي، وعلى عاتقك آلاف الخطايا التي ترجو أن يغفرها لك. تتوسّل إليه ويلوح لك ما اقترفته جوارحك، بصرك، سمعك، ولسانك. تسأله العفو والمغفرة وأنت تذكر أبواب الشرّ التي دعوتَ الناس إليها وما اكتفيت بذنبك وحدك. حينما يتراءى أمامك كل هذا ألا تخجل! بأي وجهٍ أتيت؟ ومن تكون ليغفر الله لك؟ ما العمل الصالح الذي عملته وترجو الله أن يغفر لك به ويفرّج عنك؟

وتذّكر حينها أصحاب الغار الذين أغلقت عليهم الصخرة المنفذ فلم يستطيعوا أن يخرجوا منها إلا بأعمال صالحة خالصة ما عملوها إلا ابتغاء وجهه الكريم. هل تستطيع أن تذكر عملًا صالحًا وتدعو الله في هذا اليوم أنْ يا رب إذا كنت تعلم أنّي ما عملت هذا العمل إلا ابتغاء وجهك ففرّج عني، واستجب لي، وأعتق رقبتي من النار؟ هل عندك هذا العمل العظيم الذي يستحق أن ترفع يدك لله به؟!

لذلك يخشى الإنسان المجيئ إلى الله في هذا اليوم بأيدٍ خاوية، فحتى الأعمال التي ظننتها عظيمة وكان لها أثرٌ ممتد قد يجعلها الله هباءً منثورًا بسبب شبهة رياء أو شهوة إعجاب خالجت قلبك! {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧].

يُحكى أن رجلًا جاء لوكيع فأغلظ عليه الكلام، وقد كان وكيع عالمًا زاهدًا عابدًا، وكان الرجل يسيء له وهو يسمع ويسمع، ثم قال: لحظة، فذهب إلى الداخل وعفّر وجهه في التراب، وقال: بماذا سُلّط هذا الإنسان عليّ؟ هم كانوا يعدّون ذنوبهم فيعرفون من أين يُؤتون، وكان أحدهم يقول: إني لأذنب الذنب فأعرف ذلك في خُلق دابّتي وفي بيتي ومع زوجتي. يذنب الذنب فلما يرى تعكّرًا بينه وبين زوجته يقول نعم هذا بسبب ذنبي ذاك، تمتنع خيله عن الحركة فيقول إنما كان بذلك الذنب. وكيع ما التفت إلى إساءة الرجل، وإلى سوء معاملته وعدم احترامه له، بل نظر بقلبه إلى الله، فقلبه مُعلّقٌ به سبحانه، قال يا رب بماذا سُلّط هذا عليّ؟ عفّر وجهه في التراب واستغفر من ذنبه،

[15] أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح.
[16] أخرجه أبو يعلى، وقال الألباني: صحيح لغيره.

ثم رجع إلى الرجل وقال: **زد وكيعًا بذنوبه فلولا ذنبه ما سلّطك الله عليه!** لذلك هم كانوا يدخلون بهذا الذل والانكسار، كانوا يرون أن الحياة تتنكد وتتكدر بذنب يذنبونه.

أبو رجاء العطاردي من التابعين كان وهو على فراش الموت يقول: والله ما آسى على شيءٍ من الدنيا إلا أن أعفّر في التراب وجهي كل يوم وليلة خمس مرات. ما كان يتحسر على شيء من الدنيا إلا أنه سيتوقف عن السجود لله تعالى إذا مات وتوسّد قبره. ولتعلم معنى السجود اسأل من لا يستطيع السجود ممّن حيل بينهم وبينه بعمليّات الرُكب أو أي أسباب صحية أخرى، انظر للهفتهم وتشوّقهم للسجود، ودعواتهم الدائمة بأن ييسّر لهم السجود مرةً أخرى، أنت لا تعرف ماذا يعني أن تسجد لربك بتمام الذل والخضوع!

رُؤي سفيان الثوري في يوم عرفة جاثيًا على ركبتيه. ما معنى جاثيًا؟ يعني أنه كان واقفًا ثم خارت قواه، لم تعد تحمله قدماه، فجلس على ركبتيه، كان رافعًا يديه، وعيناه تهملان دمعًا.

لمَ هذا الجثو؟ لأنك أحيانًا تدعو الله - عز وجل- وأنت واقف، لكنك تشعر أنك لستَ أهلًا للوقوف بين يديه سبحانه، تدعوه ساجدًا تدعوه قائمًا، ثم بلا شعور تجثو، وترفع يديك لله متذللًا خاضعًا تسأله أن يمنّ عليك بعفوه وغفرانه.

يقول الله تعالى لك {وَاسْجُد وَاقتَرِبْ} [العلق: ١٩]، فلا بد أن تذلّ له، عفّر وجهك في التراب، اسجد له وادعُه وإن لم تكن في صلاة، أنت تحتاج هذه الدعوات وهذه الساعات.

<u>الأمر الثاني: شابه الحجيج في قلوبهم</u>

الذين يفوزون في يوم عرفة هم الذين شابهوا الحجيج في قلوبهم، الحاج أول دخوله منسكه يحرم ويلبّي، والتلبية أن يقول: "لبّيك اللهم لبّيك" يعني يا رب أجبتك إجابة بعد إجابة وحبًا بعد حب. فكلمة (لبيك) لا تقال لأي أحد، بل تقال لمن تحبه.

استيقظ في هذا اليوم بلبّيك اللهم لبّيك، شعورًا لا لفظًا فقط، يا رب جئتك إجابةً وحبًا، يا رب أنا وافد عليك، يا رب أحييتني إلى هذا اليوم فمُنّ عليّ بالقبول والمغفرة.

زين العابدين علي بن الحسين كان لا يستطيع أن يُلبّي بعد أن يُحرم ويضج الناس بالتلبية، فلما قيل له لمَ لا تلبي؟ قال: **أخشى أن يقال لي: لا لبّيك ولا سعديك**. ومن هذا الخائف؟ زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي لُقّب بذلك لكثرة عبادته، إذن ماذا نقول نحن؟!. وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أيضًا كان يحمرّ ويصفرّ!

أنت تقول: لبيك اللهم لبيك وأنت لا تعلم كيف تكون الإجابة ! تطلب الغفران والعتق، ومن تكون أنت؟! بماذا أقبلت؟ وماذا قدمت من عمل؟ فلولا رجاء ما عند الله- عزّ وجل- ولولا أننا نعبده بعظيم كرمه، وأننا ندعوه بأن يعاملنا بما هو أهله ولا يعاملنا بما نحن أهله - لما تجرأ الإنسان أن يقول: لبيك اللهم لبيك.

فهؤلاء يُحرِمون ويلبون، ونحن نشاركهم هذه المشاعر أننا أتينا إليك يا الله، جئنا لك في هذا اليوم، يخرجون إلى عرفة -وعرفة في الحِلّ لا في الحرم كباقي المشاعر- فالحجاج يتطهرون وكأنّ الله سبحانه يخرجهم

من الحرم إلى الحلّ، يقفون جميعهم في عرفة، يخرجون سيرًا على الأقدام، وبالحافلات والقطارات، يجلسون في عرفات يمدّون أيديهم إلى الله - عز وجل- ، يستغفرونه ويستذلون له ويخضعون له وينكسرون له إلى أن يمنّ عليهم بأن يعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم. يقفون في عرفات على الأبواب، فلا يدخلون إلا بعد أن يطهّرهم الله -عز وجلّ-. ولذلك هذا اليوم مهيب للحجيج، هم يخرجون من الحرم فجرًا ذاهبين إلى الحلّ ثم يقفون كأنّ الله يُخرجهم فيقول لهم هيّا الآن. جاء في الحديث "الحجُّ عَرَفة"[17]، فليس الحج هو المناسك، الحج هو عرفة، فمن فاته عرفة فاته الحج.

الله -عز وجل- يخرجهم جميعًا إلى هذه المنطقة في الحِلّ، فكأنه يعيدهم من جديد فيغفر لهم ويعتق رقابهم ويعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، فلما تنظفوا وتطهروا يفتح الله- عزّ وجل- لهم الأبواب فيعودون مرة أخرى، فتكون مزدلفة -أي ازدلفوا للقرب من مكة- ثم يدخلون مكة.

الآن لما تعرف أن هذه هي مشاعر الحجيج وأنهم يخرجون من الحرم إلى الحلّ، وأنهم يقفون في هذه الساعات من الظهر إلى المغرب، واقفين عند الأبواب كمن يطرق الباب بشدّة وقوة أنْ يا رب افتح لنا يا رب، يقفون على صعيد عرفات وهم يطلبون حاجاتهم من الله- عزّ وجل-. أنت في بيتك استشعر أنك واقفٌ بالباب ترجو من الله أن يفتحه لك، واستشعر أن الباب مغلق لا يُفتح لأي أحد. **فما الدعاء الذي ستدعوه؟ وما هيئة يديك وأنت ترفعها؟ وكيف سيكون حال قلبك حتى يستجيب الله لك؟**

النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو أحب الخلق إلى الله- عزّ وجل -ما كان يدعو بقلبٍ بارد ولا بقلبٍ فاتر، يقول عنه أبو بكر -رضي الله عنه-: **كان حينما يدعو يرفع يده حتى يرى بياض إبطيه، يرفع يده إلى السماء أعلى ما يكون، ويخفض رأسه أنزل ما يكون، حتى أن أبو بكر جاءه من خلفه وضمّه وقال: يا رسول الله، كفاك مناشدتك لربك، إن ربّك منجزٌ لك وعدك**، تخيل أن أبا بكر -رضي الله عنه- يشفق على النبي -عليه الصلاة والسلام- من شدة دعائه وهو من؟ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

بقي الرسول -صلى الله عليه وسلم- راكبًا على دابته من بعد الزوال أي من صلاة الظهر إلى المغرب رافعًا يديه، حتى عندما فلت خطام ناقته لم ينزل يديه ليأخذه، بل أبقى يدًا مرفوعة وتناوله بيده الأخرى، ثم رفع يديه كلتيهما، لا يريد أن يفوّت لحظة واحدة من هذه الدقائق الغالية، فماذا كان يسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ وبماذا كان يثني على ربه؟ وماذا كان يريد؟ ولذلك يجب أن تكون حاجاتك واضحة في هذا اليوم، واسأل الله -عزّ وجل- في هذا اليوم أن يمنّ عليك بالقبول.

إذن يفوز بعرفة من يشابه الحجيج في التلبية، في مقامهم في عرفات، في ابتهالاتهم إلى الله، وحتى في رميهم للجمرات لاحقًا، هؤلاء لماذا يرمون الجمرات؟ تتذكر إبراهيم -عليه السلام- حينما أُمر بذبح ابنه فذهب مباشرةً لينفذ أمر الله سبحانه، فأتاه الشيطان في مكان الجمرة الأولى فقال له: يا إبراهيم أتقتل ابنك؟ أتقتله بعد أن كبر؟ عُد إلى ربك واسأله، فلا يلتفت إليه إبراهيم بل يأخذ حصيات ويرمي بها الشيطان، ثم يأتيه عند الجمرة الثانية والثالثة فيرميه بها. فأنت عندما ترمي هذه الجمرات أنت لا ترمي حصى فقط، أنت ترمي شياطينك التي بينك وبين الله، أنت ترمي كل القرارات المؤجلة، أنت ترمي هذه الدنيا التي تحول بينك وبين الله، ففي كل مرة ترمي فيها المفترض

[17] أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.

أن هناك حاجزًا وعائقًا يفصل بينك وبين الله -عز وجل- ينكسر، أنت لا ترمي بحجرٍ عادي، هذا الحجر وتلك العوائق كان يريد أن يسرقها الشيطان من إبراهيم -عليه السلام -فلم يستطع، فنحن بعد آلاف السنين نأتي لنحيي ذلك النسك لإبراهيم -عليه السلام-.

حينما تعرف هذا وأنت في بيتك لا تؤدي المناسك، اعلم أيضًا أنك مُطالب بأن ترمي شياطينك، أنت مُطالب بأن تكسر تلك الحواجز والعوائق بينك وبين الله، لا بد أن تفتّش وتعرف ما الذي يحول بينك وبين الله. ما مشكلتي؟ متى سأخطو خطوتي الأولى وأتقدم؟ لمَ أسمع ولا أتغير؟ لا بد أن تسأل وتعرف أين المشكلة وما العوائق، ثم استحضر هذا العائق أمامك في يوم عرفة وقُل يا رب هذا ما يحول بيني وبينك، يا رب اشفني منه، يا رب حبّب لي تركه، يا رب أعنّي، يا رب إني مغلوبٌ فانتصر، الجأ إلى الله واستعن به على تلك العوائق، واحذر أن تلتفت إلى أهوائك ورغباتك الشخصية، لا تقل أخشى أن يُستجاب لي وأنا لا أريده الآن! لا أريد الهداية الآن، لا أرغب بالتغيير الآن .. بعد ثلاث سنين! بل اشكُ نفسك إلى الله؛ لأنك تعرف في قرارة نفسك أنك حائد عن الصواب، فلأهوائك لا تلتفت.

الأمر الثالث : أن تشتري نفسك.

كيف نشتري أنفسنا في عرفة؟

كان حكيم بن حزام من الأثرياء، وكان لما يحج يجيء بمئة بدنة ومئة عبد من عبيده، وفي آخر ساعات يوم عرفة يعتقهم جميعًا ويتقرب إلى الله -عزّ وجل- بهذا العمل، فيضج الناس لهذا المنظر ويقولون: يا رب عبدك أعتق عبيده فيا رب أعتقنا نحن. كانوا يتحرون يوم عرفة بأعظم الصدقات فيتطهرون بتلك الصدقات أمام الله -عزّ وجل-، ولذلك خلال العشر عليك أن تتحرّى في كل يوم أن يكون لك صدقة ولا تنسَ أن الصدقة في السر تطفئ غضب الرب. فلو فعلت أمرًا أغضب الله -سبحانه وتعالى-، بادر بإخراج الصدقات سرًا حتى تطفئ غضبه -عزّ وجل-، ولا تبخل على نفسك بذلك.

هذا فقط؟ لا، وإنما كان يوزنون نفسهم. يُروى أن أحد السلف اشترى نفسه ثلاث مرات، يزنُ نفسه ثُم يُخرجها فضة، فيأخذ كل ماله الذي عنده وكأنه يشتري نفسه ويتصدق بها، فلو كان وزنه اثنان وستون يخرج عن نفسه اثنان وستون ألف وهكذا، وكذلك عامر بن عبدالله بن الزبير اشترى نفسه بديّته، فمثلاً دية المقتول مائة ألف فهو يدفع عن نفسه مائة ألف يتقرب فيها إلى الله.

أبو هريرة -رضي الله عنه- لم يكن ذا مال فكان ينظر كم مقدار الدية ويُسبحها تسبيحًا، فكان يُسبح باليوم اثنتا عشرة ألف تسبيحة، وكأنه يشتري نفسه بتسبيحه، هؤلاء كانوا يشترون أنفسهم، فكيف تشتري نفسك أنت؟ وما الذي تستطيع فعله؟ أبواب التوفيق لا زالت مفتوحة، وكل إنسان يستطيع أن يأتي بما يوفقه الله له، لكن اشترِ نفسك في هذا اليوم وقدّم عملًا صالحًا.

الأمر الرابع : احفظ جوارحك في هذا اليوم .

ذكرنا الحديث الذي رواه ابن عباس -رضي الله عنه-عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ هذا يومٌ من مَلَكَ فيهِ سَمْعَهُ وبَصَرَه ولسانَهُ غُفِرَ لهُ"[18]. فلو استطعت في هذا اليوم ألا تنظر إلى صورة وألا تفعل أيّ محرّم فافعل، هي اثنتا عشرة ساعة أو أقل، فحاول أن تصوم لا عن الأكل والشرب فقط، بل صُم عن كلّ ما يخدش قلبك. وتذكّر أن من علامات قبول الطاعة التوفيق للعبادة بعدها، فالمفترض أنك تخرج من عرفة بروحانية يمتد أثرها، فاحرص على حفظ جوارحك في هذا اليوم.

الأمر الخامس والأخير : اليوم هو يوم التسبيح والتهليل والتكبير والدعاء .

لن تفعل شيئًا في هذا اليوم سوى التسبيح والتهليل والتكبير والدعاء، حتى الحاجّ في عرفة سيكون إما قائمًا أو قاعدًا أو ساجدًا يدعو الله، ويسبّح ويكبّر ويهلل، فاستعد من الآن لذلك.

لو استعرضنا هذا اليوم فأنت ستستعد لعرفة من ليلته، تحدّد وقت نومك، ووقت قيامك بالليل. حاول ألا يفوتك قيام تلك الليلة بالذات؛ لأن من أحسن في ليله كُوفئ في نهاره، والنهار هنا غالٍ لا ينبغي فواته، فلا تنشغل في ليلته، حاول أن يصفو لك قيام الليل، وأن لا يحول بينك وبينه شيء، اقرأ ما استطعت، مائة آية أو ألف آية، صلّ ثلاث، خمس، أو إحدى عشرة ركعة، ثم إذا استيقظت لصلاة الفجر وجلست جلسة الإشراق وبدأت في إكمال ختمتك احتسب فيها ما جاء قوله تعالى: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢] فالله يُنزل من القرآن الشفاء والرحمة، فادعُ الله وأنت تقرأ أن يشفيَ قلبك من حبّه لشهواته وذنوبه، و أن يُنزل الله عليك رحماته؛ لأننا في هذا اليوم نحن أحوج ما نكون إلى تنزيل الرحمات.

فرّغ نفسك، صلَّ الضحى صلاة هادئة، ولتكن أربع ركعات، ست ركعات، ثمان أو حتى اثنتا عشرة ركعة، اقرأ فيها ما تريد، اسجد فيها، ادعُ بما تريد، اذكر الله وسبّحه، ثم صلِّ صلاة الظهر، ولا تفوّت الركعات الأربعة قبلها وبعدها، فمن فعل ذلك حرّم الله - عز وجل- وجهه على النار. وإن استطعت أن تستمع لخطبة عرفة فافعل؛ لتشاركهم الشعور ويتحرك قلبك معهم.

بعدها تبدأ في دعائك، وإن شئت استرح نصف ساعة أو ساعة لا أكثر؛ لأن هذه الساعات هي الساعات الذهبية، من قبل العصر إلى المغرب هي الساعات التي يُرجى فيها قبول الدعاء، ولو غُلبت على ما بين الظهر و العصر فلا تُغلبنّ على الدعاء ما بين العصر والمغرب، اذهب لمكان تستطيع أن تنفرد فيه وتختلي بنفسك وادعُ الله -عز وجل- بما شئت.

- **بماذا أدعو؟**

في دعائك لا تنسَ ثلاثة أمور: دينك، ودنياك وآخرتك.

[18] أخرجه أحمد، وقال الألباني: إسناده صحيح.

- **دينك**:

ادعُ الله -عز وجل- أن يصلح لك دينك الذي به عصمة أمرك، ادعُه أن يبصّرك فيه ويريَك الحقَ حقًا ويرزقك اتباعه، ويريك الباطل باطلًا ويرزقك اجتنابه، وأن يحول بينك وبين الذنوب، فقُل: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهمّ نقني من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوبُ الأبيضُ من الدنس، اللهمّ اغسلني من الذنوب والخطايا بالماء والثلج والبرد. ادعُه بكل ما يصلح دينك، وكل ما يصرف عنك خوادشه.

- **دنياك**:

ثم ادعُ الله عز وجل لأمر دنياك، والدنيا ليست فقط استكثار من مال وولد وشيء من الدنيا، إنما الدنيا استكثار أيضًا من البركة فيها، فادع الله -عز وجل- أن يبارك لك في المال وفي البيت وفي الرزق الذي تسأله من الله، ادعُ الله -عز وجلّ- أن يرزقك حياةً مباركةً مضاعفةً رضيّةً مرضية يرضاها الله -عز وجل- ويُبيض وجهك بها يوم لقائه، فلا تسأل الله أي حياة ولا تسأله أي رزق بل اسأله أن يُعيشك حياة مضاعفة مباركة؛ عمرك عشرون سنة .. لكنك عشتها وكأنها ثمانون سنة من كثرة أعمال الخير التي فعلتها، ومن آثار الخير المتبقية لك.

- **آخرتك**:

وأما آخرتك فابدأ فيها من اللحظة التي تخاف منها، من لحظة نزع الروح إلى اللحظة التي تُوضع فيها في قبرك إلى اللحظة التي يمشي فيها الإنسان على الصراط، إلى اللحظة التي يسألك الله فيها بالحساب، ادعُ الله أن يهوّن عليك كل مرحلة من المراحل. أنت كيف تريد أن تموت؟ فقل اللهم إني أسالك عيش السعداء وموت الشهداء ومرافقة الأنبياء.

خاتمتك كيف تريدها أن تكون؟ قل اللهم اجعل خير أعمالي خواتمها وخير أيامي يوم أن ألقاك، ادعُ الله أن يرزقك شهادة أن لا إله إلا الله قبل الموت. في قبرك ما الذي تخاف منه؟ قل يا رب نوّر لي قبري، اغفر لي، ارحمني يوم ليس لي أحدًا سواك، ادعُ دعاءَ من لم يبقَ له أحدٌ في الدنيا يدعو له، ادعُ لنفسك؛ لأنك لا تضمن أن أحدًا سيذكرك في الدنيا، ادعُه لأنه لن يبقى لك في قبرك إلا عملك الصالح، يأتيكَ فتسأله من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح الذي كنت تعمله.

ثم ادعُ الله -عزّ وجل- أن يجعلك ممن يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب، وادعُه أن يجعلك في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشُهداء، حتى وإن كنت تعلم أنت لست أهلًا لهذا، لكننا نمتثل لحديث النبي- صلى الله عليه وسلم-: "فإذا سألتُم اللهَ فاسْألوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجنَّةِ، وأعلى الجنَّةِ، وفوقه عَرشُ الرَّحمنِ، ومنه تفَجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ"[19]، فكما أننا نطلب الأفضل في الدنيا، علينا أن نطلب الأفضل في الآخرة، وإذا سألت الله الفردوس الأعلى فقُل: وما قرّب إليه من قول وعمل؛ حتى يرزقك الله العمل الذي يجعلك تحظى بالفردوس الأعلى، نسأل الله أن نكون من أهله.

[19] أخرجه البخاري، صحيح.

ثم اسأل الله النجاة من النار وقُل يا رب أعوذ بعزتك وجلالك من عذاب القبر وعذاب النار، استعذ بالله منهما ومن كل ما يقرّب إليهما من قول وعمل، استعذ استعاذة إنسان يستعيذ بالله حقًا، فنحن نستعيذ بالله منه كما في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي روته عائشة رضي الله عنها: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[20].

لا تغفل عن ثلاثة!

في دعائك لا تغفل عن ثلاثة أمور: نفسك، أهلك وأرحامك، وأمتك.

- **لا تغفل عن نفسك أن تدعو لها بصلاحها** "يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك" يا رب وكّلتني لنفسي في سنيّ الماضية فكان أمري في دُبر، فيا رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا رب أصلحني لأصلح أن أكون عبدًا لك، لا توجد منزلة في الدنيا أشرف من أن الله يصطفيك لتكون عبدًا له، نحنُ إلى الآن لم نصلُح، فادع الله- عزّ وجل- أن تصلح لأن تكون عبدًا له.

- **لا تغفل عن الدعاء لأمك وأبيك وأهلك وأحبابك**، ادعُ لهم بأسمائهم واحدًا واحدًا، وادعُ لهم دعاءَ من يرجو أن يكون بعده من يدعو له بمثل هذا الدعاء، ادعُ لوالديك وكأنهم أمامك، ترى والدتك محاطة بالملائكة، يرفعونها من منزلة إلى منزلة وهي تقول: بماذا؟ فيقولون بدعاء ابنك لك، وهذا مصداق لحديث: "إنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّى هذا ؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ" [21]، ادعُ لهم وأطِل الدعاء، تخيل وكأن هذا الميّت يعذّب في قبره - والعياذ بالله- فكلّما دعوت أُطفئت النار عنه، وتخفت بدعائك شيئًا فشيئًا إلى أن تزول. إذًا الدعاء ينفع الأموات فلا تبخل عليهم، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له"[22]؛ لأن هذا الدعاء يزيل عنهم تلك الكربات في قبورهم، وإذا ما دعوت لهم ساق الله -عزّ وجل- لك من يدعو لك، قال تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن:٦٠].

تحكي إحدى الفتيات عن جدتها فتقول كانت جدتي دائمًا إذا سمعت أي خبر وفاة تدعو للميت وإن لم تكن تعرفه، تقوم ليلتها تلك تدعو لهذا الذي مات، وكان هذا ديدنها، أيًا كان هذا الميت صغيرًا كبيرًا عربيًا أعجميًا لا بد أن تدعو له. وهي في المرحلة الثانوية تُوفّيت جدتها -رحمها الله- وقد كانت امرأة صالحة، تذكر الفتاة أنها بعد التحاقها بالجامعة تعرّفت على طالبة أكبر منها وكوّنت معها علاقة، مرّت الأيام وحكت الفتاة لصديقتها عن جدتها التي كانت تدعو لكل ميّت باسمه سواءً عرفته أم لم تعرفه، فسألتها صديقتها: متى تُوفيت جدتك؟ قالت لها في السنة الفلانية، قالت لا، أُريد اليوم الذي ماتت فيه تحديدا، فأخبرتها في الغد عن وقت وفاتها. تقول صديقتها أن هذا اليوم محفوظٌ عندي، شيءٌ ما أيقظني في تلك الليلة لأدعو لكل من مات فيها، لم يكن في خاطري شيء غير هذه

[20] أخرجه مسلم، مسلم.
[21] أخرجه ابن ماجه، وقال: الألباني: حسن.
[22] أخرجه مسلم، صحيح.

الدعوة، فسجلت هذا اليوم عندي لعلّي أعرف سرّ قيامي غير المعتاد لأدعو لمن مات في ذلك اليوم، فالله -سبحانه وتعالى- قد يسخّر لك أُناس قد يكونون في أصلاب أمهاتهم الآن، لكن من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه.

فادعُ لأهلك، ادعُ لأمك، الإمام أحمد كان يقول: إني والله أدعو لأربعين من أصحابي اسمًا اسمًا، وهذا من برهم ببعضهم البعض، فكان يدعو لهم بأسمائهم واحدًا واحدًا، فلذلك أنت لا تبخل على نفسك؛ لأنك كل ما دعوت لأحد باسمه، الملائكة تقول: ولك بالمثل ولك بالمثل، فادعُ لهم دعاءً صادقًا أن ينير الله قلوبهم ويهديهم ويرزقهم من خيرات الدنيا والآخرة.

-**ثم لا تنسَ أن تدعو لأمتك**، ادعُ الله أن يبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا يعزّ فيه أهل طاعته ويذلّ فيه أهل معصيته، وأن يجعل لهذه الأمة من أمرها فرجًا، وأنّ من أراد بالإسلام والمسلمين في بلاد المسلمين عامةً وفي هذا البلد خاصةً شرًا فردّ كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميرًا عليه. فلابد أن تدعو، لا تدعُ لنفسك ولا لأهلك فقط، وإنما تدعو للمسلمين أجمعين، ولذلك أنت لو قلت: "اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات" شملت دعوتك كل المؤمنين من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، الأحياء منهم والأموات، فانظر كم مئات المليارات التي مرّت على البشرية، أنت تؤجر بهذه الجملة الواحدة التي ربما ختمت بها دعاءك، كل هؤلاء تأخذ عليهم رصيدًا من الحسنات بإذن الله.

ثم بعد ذلك عليك أن تسأل الله -عزّ وجل- القبول في اللحظات الأخيرة، في تلك اللحظات التي يتنزّل فيها الله -سبحانه وتعالى- مباهيًا ملائكته بأهل الموقف، ومعتقًا رقاب من شاء منهم من النار.

أخيرًا، حينما تنتهي من دعائك وتنصرف اجعل قلبك معلّقًا بالله -عز وجل-، وقل يا رب أنت أكرم من أن تردّنا خائبين، يا رب أنت أكرم من سُئل، وأجودُ من أعطى، فلا تردنا خائبين ولا عن بابك مطرودين، فأنت تحرّك الرجاء في لحظاتك الأخيرة وتعرف أن الله لا يرد عبدًا رفع يديه إليه.

هذا وأسأل الله أن يغفر لي ولكم ولوالدينا وجميع المسلمين، وأن يجعلنا وإياكم من عُتقائِه من النار وأن يمنّ علينا في هذا اليوم بالتوفيقِ للعمل صالح، وأن يُبارك لأهلِ الحج حجهم ويجعل سَعيهم مشكورًا وحجهم مبرورًا وذنبهم مغفورًا، وأن يجبر قلوب من لم يكتب له الحج، ويجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.